جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

دلالة الماء في بعض قصائد إدريس محمد جماع

(دراسة لغوية دلالية)

الدكتورة

منيرة أحمد محمد الشيخ

أستاذ اللغويات المساعد ـ قسم اللغة العربية
كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة الملك خالد

العدد الثالث والعشرون
للعام ١٤٤١هـ / ٢٠١٩م
الجزء التاسع

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/ ٢٠١٩م

الترقيم الدولي ISSN 2356-9050
الترقيم الدولي الإلكتروني ISSN 2636 - 316X

بسم الله الرحمن الرحيم

(شكر وتقدير)

(الباحثة تود شكر

جامعة الملك خالد

على الدعم الإداري والفني

لهذا البحث)

الترقيم الدولي
ISSN 2356-9050

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص البحث

دلالة الماء في بعض قصائد إدريس جمّاع (دراسة لغوية دلالية)

جاء هذا البحث لدراسة حقل الماء في بعض قصائد الشاعر السوداني إدريس محمد جمّاع ،دراسة دلالية، تتبعت فيها الدلالات التي وردت في هذا الحقل لأني لم أقع في حدود وسعي على دراسة لهذا الجانب في شعر "جمّاع" .

وأكتفيت بالدراسة التطبيقية ،ثم اقتصرت على بعض جوانب من متعالقات الماء، فعرضت صفة الماء ، والماء في مجاريه ، وفي حركته ، وما يجاوره ،وما يشبه الماء. فتلك الموضوعات المائية في شعر جمّاع متنوعة ، وتخلُقت في شعره بدلالتها الجديدة خلقا آخر، وكأنها بذلك وضعت بديلا موضوعيا للعالم الحسي المرئي .وقد توصل البحث إلى أن شيوع ألفاظ معينة في هذا الحقل المائي في قصائد "جمّاع ما يومئ إلى أن حالة نفسية تستدعي ألفاظ بذاتها لها دلالات معنوية ونفسية، تعبر عن تلك الحالة المستشعرة التي تهيمن على كيان الشاعر.

كلمات مفتاحية: دلالة الماء ، إدريس جماع ، الماء ، الرمزية ، الشعر ، الشاعر .

الدكتورة

منيرة أحمد محمد الشيخ

أستاذ اللغويات المساعد ـ قسم اللغة العربية كلية العلوم الإنسانية ـ جامعة الملك خالد

Email: Monera.alshek@yahoo.com

Summary

The indications of water in some Idris Jemmaa poems

This research came to study the water field in some of the poems of the Sudanese poet Idris Muhammad Jumaa, a semantic study, in which I followed the indications that appeared in this field because I did not fall within the limits of my search for this aspect in the poetry of "sexual".

I was satisfied with the applied study, then I limited myself to some aspects without aspects of water fluids, so I presented the characteristic of water and water in its streams, in its movement, what is adjacent to it, and what looks like water. These water subjects are in a variety of intercourse poetry, and another new creation has been created in his poetry, as if by that they have developed an objective alternative to the visual sensory world. It has moral and psychological connotations, which express the sensed state that dominates the poet's entity.

Key words: connotation of water, idris intercourse, water, symbolism, poetry, poet.

Dr.
Munira Ahmed Muhammad al-Sheikh
Assistant Professor of Linguistics, Department of Arabic Language, College of Humanities - King Khalid University
Email: Monera.alshek@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

هذا البحث الموسوم بـــ(دلالات الماء في شعر إدريس جمّاع) يهدف إلى دراسة دلالية في شعر جمّاع ، ويأتي الموضوع غير مسبوق،ففي الأساس نقول إنّ شعر جمّاع حظوظه قليلة في مجال البحث والدراسات،خاصة الدراسات الدلالية، فالدراسات التي اهتمت به تركزت على الجانب الأدبي والنقدي،فكأني به حين شكا قلة حظه في هذه الفانية ،كأنما عنى قلة الحظ حتى في شعره،فالمكتبة العربية خلوٌ ،بل السودانية مازالت فقيرة في الدراسات التي اهتمت بشعره.

وأول من درس شعره؛ الأديب محمد حجاز مدثر في كتابه (جماع قيثارة الإنسانية والنبوغ)،ثم الباحث عبدالقادر الشيخ إدريس"أبوهالة" ،رسالة دكتوراه عن جمّاع – حياته وشعره،فالباحث عبد النبي عبد الله جمعة ،رسالة دكتوراه ،الصورة الفنية في شعر إدريس جمّاع ،دراسة أدبية نقدية، أما الدراسات اللغوية فقليلة جدا ،منها دراسة في أساليب التوكيد في بناء الجملة في شعر جمّاع للباحث عمر محمد علي وآخرين،وتشكيل اللغة وبناء الأسلوب في شعر إدريس جمّاع محمد محجوب محمد عبدالمجيد ، .،فقط هذا ما توفرت عليه.

هذا الشعرالذي تضمنه الديوان تعبير صادق عن وجدانه ووجدان أمته، فقد وصف فيه مختلف المشاعر الإنسانية خصوصا فقد كان شعره صورة صادقة لحياته التي توزعت بين الألم والأمل ، والحزن والفرح ، كما وصف فيه حماسة الوطني الغيور على حرية وطنه وكرامة أمته،بل الإنسانية بجمعها .فقد تناول قضايا أمته الكبرى ،لأنه عاصر مخاضات الدول العربية ، الجزائر

ومصر وفلسطين، واقتحم قضايا التحرر في العالم. لذلك كان جديرا بأن تقلب معاني هذا الشعر ودلالاته على وجوه مختلفة ،حتى تنكشف حقيقة إن إدريس جماع حالة إنسانية فريدة وموهبة فنية فذة.(١)

وتتلخص مشكلة البحث في توظيف الشاعر لدلالات الماء من خلال الأسئلة الآتية :

١ – هل وظف الدلالة المعجمية للماء ؟

٢ – ما الدلالات التي عناها متجاوزا الدلالة المعجمية ؟

٣– ما الأساليب التي استعان بها ؟

أما أهداف الدراسة فتتلخص فيما يأتي :

١ – بيان توظيف الشاعر للدلالة المعجمية للماء.

٢ – الكشف عن الدلالات التي قصدها عندما كان يتجاوز الدلالة المعجمية.

٣ – توضيح الأساليب التي وظفها .

منهج الدراسة استقرائي تحليلي ،إذ تتبعت ذكر الماء في شعر جمّاع لأقف على كل دلالة في محلها .ولما كانت الدراسة دلالية فقد تجاوزت فيها التنظير إلى التطبيق، هذا الشعر الذي تجمع في ديوان يتيم طار صيته ، منه قصائد بعينها طبقت شهرتها الآفاق ، بل بعض أبيات من قصائد له صارت مثلا يستشهد به ، مثل قوله حين وصف حظه :

إنَ حظى كدقيق فوق شوك نثروه ثم قالوا لحفاة يوم ريح اجمعوه

صعب الأمر عليهم ثم قالوا اتركوه إنَ من أشقاه ربى كيف أنتم تسعدوه(٢)

استعار من الطبيعة أقسى ما فيها؛ شوكها، ليدل على انعدام حظوظه في هذه الفانية. وكان ذاك ديدنه فيما نقل عنه،وما يعكسه شعره، بقول :

إذا مت لا تحزني إنني تراب يعود إلى بعضه

لقد جعلتني ليالي العذاب ألذُ المماتَ على بغضه

وما كان عيشي هنيئاً فأذكر ما كان بالأمس من غضَه(٣)

وما كان عيشي هنيئاً فأذكر ما كان بالأمس من غضَه(٣)

فأحسب أن شاعرنا هو الشاعر ممن ذكرهم ابن رشيق(٤) صال وسط معمعـــة الألفاظ وانتقى الجوهر منها ليزين بها شعره،وراوح بين دلالاتهـــا المعجمية والدلالات الجديدة التي أسبغها عليها وشط ببعضها في آفاق بعيدة المدى.

المبحث الأول : التعريف بالشاعر

١ - اسمه وميلاده ووفاته : إدريس محمد جمّاع.

ولد في حلفاية الملوك (السودان) من عام١٩٢٢، وبها توفي (١٩٨٠م) .[٤]

٢ - الإنتاج الشعري:

له ديوان «لحظات باقية»، طبع ثلاث مرات: بالقاهرة (د. ت) – بتحقيق منير صالح عبدالقادر: أبو ظبي ١٩٨٤ – دار البلدية بالخرطوم ١٩٩٨. (٥)

هذا الشعر الذي تضمنه الديوان تعبير صادق عن وجدانه ووجدان أمته، فقد وصف فيه مختلف المشاعر الإنسانية خصوصا فقد كان شعره صورة صادقة لحياته التي توزعت بين الألم والأمل ، والحزن والفرح ، كما وصف فيه حماسة الوطني الغيور على حرية وطنه وكرامة أمته، بل الإنسانية بجمعها .فقد تناول قضايا أمته الكبرى ، لأنه عاصر مخاضات الدول العربية ، الجزائر ومصر وفلسطين، واقتحم قضايا التحرر في العالم. لذلك كان جديرا بأن تقلب معاني هذا الشعر ودلالاته على وجوه مختلفة ،حتى تنكشف حقيقة إن إدريس جمّاع حالة إنسانية فريدة وموهبة فنية فذة.(٦)

إن الطبيعة في تقديري حقلٌ فرعاها الرئيسان ؛ الأرض والسماء ، ثم يتفرع كل حقل منهما إلى حقول متفرعة، لذلك فهي الكون بذاته بأبعاده الملموسة والغائبة، وجمّاع لم يقصر، بل تمدد شعره في كل هذه المساحة الكونية فالتقط منها ما شاء، ولكن سيقتصر البحث على بقعة صغيرة من هذا العالم الفسيح متناولا عنصرا واحدا من عناصر تلك الطبيعة، وهو الماء، لنقف على رمزية الماء والإطار الدلالي الذي شكل الخطاب الشعري لإدريس جمّاع وكيف وظف هذا العنصر واستغل مفرداته بحقيقة دلالاتها أو بالإزاحة لتلبس دلالة معنية قصدها الشاعر تعبيرا عن المشاعر التي راودته والفكَر والرؤى التي خامرته.

يعد حضور هذا الحقل واضحا في القصيدة من خلال ما تحمله من مرادفات إذ يعمد الشاعر إلى استخدام الكثير من الألفاظ مشتركة المعاني بغاية الإلحاح على فكرته، والقارئ الذي يحط عند دوحة الشعر الخاصة بإدريس جماع يجده لا يقتصر على استخدام مفردات هذا الحقل في ثنايا شعره،بل جعل بعض مفردات الحقل عناوين لقصائده، من ذلك؛ قصيدة " هذه الموجة "،و"ينابيع الشعر" و"رحلة النيل".

ومن البدهيَ إن جمّاع له عالمه الخاص الذي يتميز به عن بقية الشعراء ، وله ألفاظه التي يختارها ، وكيفية استخدامه لها ليكشف عن خبيئة نفسه . وهذه المفردات المنتخبة هي التي تكوّن البنية الدلالية لغرض الشاعر، كما أنها تجسد تفكيره ومجتمعه، لذا فلابد من الوقوف على المحاور الدلالية لمفردات الحقل المحدد لهذه الدراسة حتى نكشف بعضا من النقاط المتمركزة في تفكيره. وكان لزاما أن أعرض بعض الجوانب التي تخص الشاعر ، إن كانت حياته أو ما قيل عنه ، لأني وجدت توظيفه لمظاهر الطبيعة هو في نفسه دلالة تكشف عن كثير مما أحاط بهذا الشاعر .

فشخصه شغل الناس، فهم لم يستطيعوا الارتقاء إلى ثريا عبقريته فرموه بالجنون ، وشعره شغل المشتغلون بالشعر يغوصون في أعماقه يستخرجون لآلئ فنه وتعبيره ، وجواهر وجدانه. فهل كان جنونا كما قالوا؟ أحسبه هياما واستغراقا في عالم خاص بشخوصه التي لا يعرفها إلا الشاعر، وبجماله الذي لم يصل إلى غايته إلا هو ! مَنْ من بني البشر ليس له دنياه الخاصة ، التي لو اطلع عليها أحدٌ لقال عن صاحبها إنه مجنون؟ ولكم في تلافيف النفوس من خبايا !وأحسب أن شاعرنا هو الشاعر ممن ذكرهم ابن رشيق(٧) صال وسط معمعة الألفاظ وانتقى الجوهر منها ليزين بها شعره، وراوح بين دلالاتها المعجمية والدلالات الجديدة التي أسبغها عليها وشط ببعضها في آفاق بعيدة المدى، لأن رأيه في الشعر :

خالد الشعر ما توثق بالنفوس ومد الجذور في الأعماق(٨)

وكثيرا ما يستدعى خيال الشاعر من المفردات كل ما من شانه أن يلون تجربته بما يحيل على الفرح والأمل رغم اتساع مساحات الحزن والخيبة من واقع يعيشه بين بني جلدته ،لكنه لا ينتمي إليه وكأني به المتنبي حين قال : وما أنا منهمُ بالعيش فيهم (٩)

ورد ذكر الماء برؤى وتصورات عديدة وفق اتجاهه الفني، فالماء يحضر بكل أشكالهومظاهره وفق التجربةالتي يعيشها الشاعر،فيتشكيلمفعم بالدلالات، إن كان في استعماله الحقيقي، أو في استعمال مجازي يخرج من دلالته الحقيقية إلى دلالة يقصدها الشاعر. وحضور الماء على مستوى المعجم يأتي بأشكال متعددة أعظمها الماء في مجراه حيث النيل، ومن ثم النهر والبحر، ثم متعلقات الماء مثل (موج وشلال ولجة وسحب و يم وندى وطل وغمام)، وحتى الماء في صورته السرابية التي يحسبها الظمآنُ ماءً استدعاها الشاعر.

والأفعال التي تصدر عن الماء وهو يعبر عن وجوده الأبدي مثل: السيلان – الهدير – الفيض –التدفق– والتفجر.. فأحوال الماء هي من أحوال الشاعر وتضارب مشاعره في سكونها وهيجانها ،لذلك ركن إليها يستمدها العون لتوضيح دلالاته ، وكان قوامها: الفعل والتفاعل والتشكل بحسب الزمان والمكان، كثرة وقلة وفق ما يقتضي السياق. فالشاعر يشكل حقلا دلاليا خاصا مترابطا للتعبير عن معان متشاكلة تمثل انزياحا أسلوبيا في أحيان كثيرة لتتلبس المعنى المناسب. كما يذكر ياسين النصير في تعدد وتنوع الدلالات الشعرية ما يلي: «ليس الماء شكلاً مكانياً يمكنك تحديده من خلال بقعته الجغرافية، فالجغرافية الحاضنة له لا تمنحه أسماء، ولا تتسع لمعانيه، وإنما هو تكوين حي متحول، يمنح الأشكال الحاوية له بعداً خيالياً وشعرياً(١٠)

المبحث الثاني :التطبيق :

أولا : لفظة الماء في معناها المجرد، وصفته الرئيسة:

عندما يأتي الشاعر على ذكر الماء، يستخدم اللفظ بحقيقته المعروفة، لأنه حالئذٍ قد يكون وصفا دالا، ففي قصيدة النيل تُرى صورة الماء كمستقر لأسراب الطيور، المبتدأ نكرة موصوفة بعد ر ُبَّ والخبر جملة فعلية ماضية . جاءت هذه الصورة في شعر جمّاع، وذلك أفاد ورود المبتدأ نكرة (سهلٍ) التفرد والتميز، وجاء وصفه بالجار والمجرور لبيان نوعه تمهيداً لبيان سبب استقرار الطيور به. كما جاءت جملة الخبر ماضية للدلالة على زمن هذا الاستقرار، كل ذلك مما ينبئ عن دلالة مفعمة تكشف عن ميول الشاعر لاستقرار لطالما حلُم به، يقول:

ورب سهلٍ من الماء استقر به من وافدُ الطير أسراب ووحدانا(١١)

ويستمر تدفق الأمنيات، فيأتي ذكر الماء تأكيدا، فالشاعر بصدد تحرر الوطن ، وما يتبع ذلك من الحرص على البناء، فيعلو صوت المصانع، ويتدفق الماء يروي الزرع، فهو نضال لا ينتهي، نضال لنيل الحرية، ونضال لبناء الصروح، والماء من أولى أسس البناء وهو مادة الحياة، وتأتي حروف التعليل " اللام متصلة بكي" والباء المتصلة "بماء" لتأكيد المعنى، انظر لمسات بيانية الدكتور فاضل سامرائي وتعضد الصفة "دافق" الدلالة المقصودة ، التطلع لبناء مستقبل زاهر ، يقول:

ولكى يجري بماء دافق ونضير النبت في أربعنا (١٢)

ويتغير بناء المفردة فينتحي إلى الجمع" أمواه" ليناسب سياقا معينا، سياق يساوق الطبيعة ويمتزج بها امتزاجا لا يرى فيه فاصل، فقد جرت في

دمه، وتماهت مع روحه ، شأن الذين اعتقدوا في مبدأ وحدة الوجود، وقد ذكر حجاز مدثر أن جماع كان يؤمن بوحدة الوجود(١٣)

وَيُغَنِّـي فَتُغَنِّـي بيَـنْ أَمْـوَاهٍ وَغَـرْسِ(١٤)

و في موضع آخر يوظف المفردة في شكلها الجمعي مضافةً إلى مفردة أخرى تتعلق بالماء أيضا لتأتي دلالة قوية يريدها تعبيرا عن نضال الشـعوب، يقول :

والتقى التيار وانساح كما تحضن العالم أمواه الخضم(١٥)

وقد تأتي دلالة الماء في سياق رومانسي، فمجرد البسمة من الحبيـب تشيع نورا يقشع الظلام من حياته، وتعيد ماءً من بعد الجفاف ،الدلالة واضحة تكشف عن حال الشاعر والبؤس الذي اكتنف حياته.

بسمة منك تشع النور فى ظلمات دهري

وتعيد الماء والأزهار فى صحراء عمرى(١٦)

٢- صفة الماء الرئيسة ، الصفة الحيوية، لابد أن نحبس عندها وهـي الروي والرواء والإرواء بمختلف المصادر ثلاثية كانت أو رباعية ، فالشاعر لم يدخر جهدا في توظيف الصفة وينتقي ألفاظا بعينها لتؤدي الدلالات المتقلقة في نفسه ،وتتنوع منابع الإرواء، فمن منبع رؤية، ومنبع حديث، ومنبع من خلق، تعددت المنابع والنتيجة واحدة إزالة العطش كيفما كان .

ففي قصيدة " لقاء القاهرة " التي زخرت بكثير من مظاهر الطبيعة ممـا يكشف عن دلالات تتعلق بالحالة النفسية والشعورية التي تملكت الشاعر. وهي من اللحظات النادرة التى وجد الفرح فيها طريقا إلى الشاعر حين سـافر إلـى مصر، فبدءاً من مطلع القصيدة تتالى صورُ الماء في أشكال شتى، وفي صفات متنوعة، أولها الإرواء، ولكن ما يروي الشاعر شيء آخر ليس المـاء ،وكـل

الذي ورد في شعره عن الروي جاء مجازا لا حقيقة، لكن النتيجة واحدة ،فإذا كان الماء يروي العطش، فهو بصدد ماء آخر، ماء وجداني ليس مرئيا ،وتأتي النتيجة مماثلة، فما يروي الشاعر رؤية مصر، رؤية مصر هي الماء غير المنظور لشعوره المتعطش، فكأنما غدت مصر حبيبا تتوق العين لرؤيته ،رؤية تصل به حد النشوة، النشوة في أشهر صورها كنشوة السكر في دلالة كاشفة عن مقدار تلك النشوة، التي تحققها الرؤية، مشاعر وأحاسيس متراكبة معقدة،،يسوق بعضها بعضا، وكان لدلالة الإرواء فضل بيانها وتبسيطها في لغة سهلة قريبة التناول، ولابد من الإشارة إلى تجاوزه اللغوي في كلمة "ساكر

أحقّاً أراكِ فأروي الشعورَ وأسبحَ في نشوةِ الساكرِ ؟(١٧)

وفي موضع آخر يأتي الرواء في مقام الحديث عن الحرية للوطن، رواء نبعه الحديث عن آمال مرتجاة كلما تكرر أثمل نفسه، والملاحظ أن الشاعر كلما وظف الروي في شعره بدلالة تناسب السياق الذي يتحدث فيه، كلما أوصله ذلك الروي حدا يبلغ به درجة السكر، ليس سكرا بخمر، بل سكر بمسكر آخر، فهناك كان رؤية المحبوبة (مصر)، وأما المسكر هنا فحب الوطن، إذن فالمسكر كيفما أتى ومتى ما أتى فهو حب مقدس لوطن غال إن كان السودان أو كانت مصر. يقول:

رو نفسي من حديث خالد كلما غنت به أثملها

من هوى السودان من آماله من كفاح ناره أشعلها(١٨)

وترد "كلما" بشرطها (ماض) يليها الجواب (ماض) لتفيد تكرر الجواب كلما تكرر الشرط، مما يدل على طرب الشاعر من ذكر المجد الذي تنشده الأمة السودانية مهما تكرر.

ثم يأتي نبعٌ يهب الروي، إن كان خلق العلم كما في قصيدة "تحية لجامعة الخرطوم"، أو في قصيدته (بخت الرضا)التي كانت قبلة سعت إليها

الوفود لتنهل من روي أرضها الندية ،فلم تزل دلالة الروي تأتي أمـــرا قيميـــا، ونرى استعانة الشاعر بأسلوب الاستفهام الذي يخرج إلـــى معنـــى التقريـــر، ويتبعه إلا حصرا لاختصاص المعهد بالهداية، يقول :

وروت من خلق العلم نفوسا تتسامى(١٩)

يا قبلة الوطن العزيز ومعهدى هل كنت الا للهداية معهدا

جاءتك من طول البلاد وعرضها وسعت لأرضك عندما روى الندى(٢٠)

وكيف يكون الحال إذا افتقد هذا الروي؟! إنها الوحشة وإنـــه الـــذبول ، وإنه العدم الذي يتلبس الشاعر، ويستعين بالحرف "لكن" الذي يفيد التوكيد، مع الجملة الفعلية، لتفيد توكيد الصورة التي أراد الشاعر إيصالها للمتلقي حيث إن الدوح لا رواء ولا بهاء حوله، بل وحشة، وزهور ذابلة، في دلالة على الحالة التي آل إليها الشاعر، يقول:

و لست ترى حواليه رواء و لكن و حشة و ذبول زهر(٢١)

براعة الشاعر تبدو في هذا التلاعب اللفظي ،فهو يجمع بـــين مفقـــود يقابله موجود، فالدلالة لا تلحظ من الوهلة الأولى، لأنها تتوارى خلـــف صـــور متراكبة، وكأنما تشبه الكناية البعيدة التي تحتاج إلى روية ،وإعمال فكر لوجود الواسطة بينها وبين المطلوب (٢٢) ففقد الرواء يُؤَتي الجفاف، جفاف يُرى في ذبول الزهور، وتساقط أوراق الشجر، فالصورة في مجملها تكشف عن دلالـــة الخراب، والخراب يعني اختفاء معالم الحياة، ومن ثم تتوطن الوحشة، ،يجـــئ ذلك في قصيدة " من وراء القضبان "وبالطبع أي رواء ينتظر لمن هـــو خلـــف القضبان؟ هي كما يقول:

حياة لا حيـــــاة بها و لكن بقية جذوة وحطام عمر

خطوب لو جهرت بها لضاقت بها صور البيان وضاق شعري(٢٣)

ثانيا : الماء في أوعيته ؛ النيل والنهر والبحر

١ – أما عن "النيل "فقد جاء بعنوان لقصيدة زخرت أبياتها بذكر متعلقات الماء " رحلة النيل" فكانت رحلة امتطت المفردات لتقود الذهن إلى دلالات أخرى أثرت الخطاب الشعري، وذلك في تتبعه لتلك الرحلة الميمونة مرورا بكل ما يلازم ويتحف تلك الرحلة من تعالق ومجاورة ،مثل جبل الرجاف ،وينساب النغم الشعري هادئا هدوء النيل الأبيض في مساره ،وتنجلي صورته مثل عذراء ساحرة، وما يلبث أن ينحاز للنيل الأزرق في اصطخابه، ممتزجا برفيقه النيل الأبيض امتزاج الخمر والماء ،في دلالة عن مجرى النيل المتحد، وهو وصف مستعار من التراث ،من بيت لشاعر العصر العباسي (أبو فراس الحمداني) يقول فيه :

وحاربتُ قومي في هواك وإنهم وإياي لولا حبُك الماءُ والخمر(٢٤)

وتنتهي القصيدة انتهاءً قاصدا تصل دلالته إلى ترسيخ معنى العزيمة، وتأكيد معنى الأخوة بين شعبي وادي النيل .

يتفنن الشاعر في توظيف المفردات ،فاندفاع النيل إما يأتي فعلا "دافع" واللفظة تحتمل دلالة المزاحمة، قوله تعالى "ولولا دفع الله الناس بعضهم"(٢٥)، فالنيل يدافع الجنادل والشلالات وما يلاقيه في مجراه، وتدافعا مع الأعالي في مجراه الذي يشق الصعود إليه، وفي ذلك قوله تعالى"...ومن يُرد أن يُضله يجعل صدره ضيقا حرجا كأنما يصعدُ في السماء"(٢٦)،

أو يكون النيل "مندفعا" لفظة اشتقاق من فعل لازم، ثم يسوق التشبيه تعضيدا لتلبس المفردة المعنى المطلوب، تشبيه الاندفاع باللحن الموسيقي، فاندفاع الألحان من المزمار يتطلب جهدا عضليا من النافخ، وجهدا نفسيا يتمثل في المشاعر والأحاسيس التي يريد الموسيقي أن يوصلها للمتلقي، وهكذا اندفاع النيل لحن موسيقي ،هذا هو النيل الأبيض الذي ينساب كما الموسيقى

هادئا متأنيا في مسيرته ،هذا اللحن المنساب هنا تقابله عربدة النيل الأزرق الذي ينحدر من الهضاب الأثيوبية هائجا معربدا، كفعل إنسان في عنفوان لحظته ، واللفظة حين تستلب الصفة "عربد" من الموصوف، ويتوارى الموصوف ليتيح للصفة أن تكشف عن الدلالة، فينصرف الذهن إلى الصفة في ثوبها الجديد بإضافتها إلى المشبه. الجملة الفعلية (تدافع النيل) أفاد الفعل عنفوان النيل المتدافع من منابعه. وورد المسند إليه (النيلُ) علماً ليدل على إظهاره واستحضاره لدى المتلقي، وجاء تقديمه ليدل على منزلته وقد أكد هذه القوة وهذا العنفوان حيث إن النيل يتقدم ركاب الليالي عجلا، يقول:

والنيل مندفع كاللحن أرسله من المزامير إحساس ووجدان(٢٧)

أفاد الإسناد في قوله (امتزجا) تمام صيرورة النيلين، الأبيض الهادئ والأزرق بعنفوانه المعربد، نيلاً واحدًا وروحًا واحدة، يقول:

وعربد الأزرق الدفاق وامتزجا روحا كما مزج الصهباء نشوان

عزيمة النيل تفني الصخر فورتها فكيف إن مسه بالضيم إنسان(٢٨)

وفي " لقاء القاهرة" يبدو النيل في صورة نسجتها يد الشاعر في تشكيل لغوي متين ،فهو لا يساير النيل، بل النيلُ هو الفاعلُ، فكأنهما رفيقا سفر لا يفترقان ،وإن افترقا فلبرهة قليلة وحين ينفلت مختفيا من بصره يتركه حائرا، فالشاعر قد تجاوز منطق الحس الشعوري إلى منطقة مجهولة يضيع فيها فيحتار بصره، وتظل الدلالات متعلقة بحالة الشاعر، فهو يراوح بين سراب وعدم وحيرة. ثم يمضي حسه الشعوري يجري بسلاسة مع النيل وتنجلي الدلالة مع الحرف "مع" الذي يفيد المصاحبة ينسج ذلك في مساق لغوي سهل، وأسلوب انزياحي عفوي ،والشعور يبلغ غايته فيستجيب لفورة الموج وينصاع مستسلما طافيا على سطحه، ولا يفوتنا أن نلمس الأثر الدلالي للفظة طفح التي تقود الذهن إلى تخيل ذلك الشعور المجسد المرئي بعين الخيال طافحا على

سطح الموج الفائر، ثم ما تلبث التشكيلات اللغوية التخيلية تتكامل لتصعد بالصورة إلى أفق تهزج له روحه، ثم تتطامن خاضعة لذاك التيار الهادر يحمله حيثما يشاء، فتلك الروح الشاردة تنساق مع كل شيء حر تسير وراءه، وتتساوق ألفاظه ذات الدلالات تساير ذاك الروح الهائم، يقول :

ولكنْ مع النيلِ يجري شعوري ويطفح في موجه الفائر

وتهزج روحي له ساجية وتعنو لتيّاره الهادر(٢٩)

جمّاع يوظف الفعل الناسخ بات و(بات) مع معموليها تفيد "اتصاف اسمها بخبرها في الليل(٣٣) "وقد وردت في شعر جمّاع، منها قوله:

راكبُ البحرِ خافقُ القلبِ باتت بين جنبيه لوعة تستقرُّ(٣٠)

جملة "باتت بين جنبيه لوعةٌ" جاء فيها الفعل بات، متصلة به تاء التأنيث، واسمه لوعة تأخر عن خبره شبه الجملة "بين جنبيه" وقد أفادت (بات) أن استقرار اللوعة بين جنبي راكب البحر كان ليلا، مما يدل على خوفه وقلقه في هذا الوقت الذي هو وقت سكون وراحة، وقد بينت هذه الجملة قوله المتقدم (خافق القلب)، دلالة على شدة خوفه، مع مجانسة الحقول الدلالية للكلمات (البحر، خافق القلب، باتت، لوعة) للمعنى الذي أراده الشاعر.

ومن أدوات الاستفهام التي وظفها الشاعر أداة الاستفهام كيف مع جملة الشرط جاءت هذه الصورة في شعر جمّاع، وذلك في قوله:

عزيمة النيل تفني الصخر فورتها فكيف إذا مسه بالضيم إنسان؟(٣١)

دل الاستفهام بـ (كيف) على التهديد والوعيد لكل من يحاول الاعتداء على النيل الذي يحطم الصخور، في دلالة على اعتداد الشاعر بالنيل.

لا يترك جمّاع وسيلة توصل مقصودة للمتلقي، فقد استخدم الصيغ الصرفية، من ذلك صيغ المبالغة فنجد صيغة (فعال) في شعره، وذلك في قوله:

إن هبت رياح فاض دفاقا بخير ومراح

فصيغة المبالغة (دفاقا) الواقعة حالا تعلق بها الجار والمجرور (بخىر) وجاء قىدا لها. وقد دلت على عنفوان وكثرة الخضرة حول الذىل مع ارتباط ذلك بعطائه وجماله. (٣٢)

٢- وأما" النهر" فيرد ذكره تعبيرا عن الحياة بأسرها، والشاعر يطوف ما يطوف ثم يأوي إلى دلالته المكينة التي لايني عن ذكرها في كل حين، حياته الجافة التي هي في "مهب الريح "أما نهر الحياة فسيجري صاخبا يروي كل الكائنات، إلا ذلك الكائن قليل الحظ الذي يتخطاه ذلك النهر، جمّاع ليس هناك غيره، والمجرى النحس هو مجراه غير مجرى واحد فيه جفاف"(٣٣)

وقد يردُ النهرُ جمعا في تعبير عن عظمة جامعة الخرطوم، إذ لا يكفي عن تمثيل المعنى نهرٌ واحدٌ فدلالة الجمع أقوى لأن الفيض الذي يرفد ذلك المجمع ثر ماؤه فهي :

حمى الفكر وفي الفكر حياة وخلود

وارفدي من فيضنا مجمع أنهار الوجود(٣٤)

تنساق لفظة النهر هادرة جزءا من صورة كلية تحتشد بألوان من مظاهر الطبيعة الفاتنة ؛نضارةٌ وندىً وزهرُ، لتعبر عن عالم جميل يحمل أشتات الصور في قصيدة "إني لأعجب" :

إن الحياة هي الشعور فكيف يحيا من غدر

وبها النضارة والندي والنهر يهدر والزهر(٣٥)

وتأتي لفظة الندى في مقام يوظف فيه المفعول المطلق المؤكد لفعله منها قوله :

ومزاج الندى رشاش الدم القا ني انطوى فوقه البنفسج طيا(٣٦)

دل التقييد بالمفعول المطلق (طيا) لفعله (انطوى) على تأكيد انطواء زهر البنفسج فوق مزيج الندى والدم الناتج من الحروب، في دلالة على وحشية الحرب وتشويهها للجمال.

أيضا جاء التقييد بالمفعول المطلق المبين لنوع فعله ، في قوله:

يدير الكؤوس على المنصتين وينساب منك انسياب النهر(٣٧)

أفاد توظيف المفعول المطلق (انسياب النهر) لفعله (ينساب) توكيد وبيان نوع الانسياب، في دلالة على سلاسة ورقة بيان الشاعر الذي يرثيه "الراحل الهادي العمر ابي" (٣٨) الذي ينساب كالنهر الرقراق.

٣ – وأما مفردة " البحر" فتأتي في معناها الحقيقي ،ولكنها في سياق يتضمن دلالة تتعلق بميل الشاعر. وذلك ما عرف عن ولهه بالشقيقة مصر، فذلك الوله يخرج في صور عديدة ويتشكل في مفردات مختلفة تستنبط من ثنايا شعره، فحب مصر قد يأتي في قصيد ،أو يأتي أبيات في ثنايا قصيد آخر، فمصر كانت قبلة العلم التي إليها يتوجه، والمحبوبة التي يبثها مشاعر الحب والتقدير، وهي القدوة في حرب الغزاة منذ تاريخها القديم :

ولا البوارج فوق البحر تقذفها والنار تنصب من بعد وعن كثب (٣٩)

حب مصر دم يجري في شرايين الشاعر(٤٠) لا يفتر عن ترداد معانيه وتوظيف المفردات لبيانه ،ودون شك هو يفخر به، وقد تغلغل في تجاويف شعوره وفكره، لأنها الأمل الذي يبعث فيه الروح المقاومة لإحباط الظروف، وهي الحرية التي تشرق في حياته الحبيسة بين أسوار الانعزال، ولا صوتٌ يعلو فوق النغم الذي اختص به مصر، شعور كامن في سويداء قلبه حتى فاض شعرا ونغما يقول:

أملي وهبت لى الحياة وكنت في سجن الألم
أطبق جناحك قد بلغت فهذه أرض الهرم

وأراك تجري في الشعور وتستحيل إلى نغم(٤١)

حبه لمصر شيءٌ يقف التعبير عاجزا عن تصويره، غير أن يستعين بشعره لإدراك مرامي هذا الحب وأبعاده، فحتى القيم التي يمتلكها لا يجد شبيها لها إلا في مصر، فعزمه الذي لا يتضعضع يشبه عزمها في بأسه، عزم دلالته تُوغل في التاريخ تستنطقه أحداث معركة المنصورة(٤٦) حين قذف في البحر فرسان الفرنجة بقيادة لويس.

للبحر يقذف بالعدو وان تشبث واعتصم
لم ننس أيام الكفاح وما أزحت من الألم
يا مهجراً للأنبياء وقبر سائر من ظلم
هذا ركابي قر فيك ولست غير فتى برم(٤٢)

يلح جمّاع على أسلوب الاستفهام بـ "هل" يليها المضارع اللازم، ويخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي ليفيد الاستنكار في قوله "فهل يظمأ البحر." استنكار أن يكون البحر في حاجة إلى الدماء التي تخالط أمواجه جراء الحروب التي يمتد إليها استنكار الشاعر، في دلالة على طبيعته المحبة للسلام. يقول:

مازجت ماءه فهل يظمأ البحر لنهل الدماء وهو البحر؟(٤٣)

مما وظفه الشاعر لبيان الدلالات التي يقصدها الأفعال التي تنصب المبتدأ والخبر معا، من ذلك الفعل؛ رأى في معرض حديثه عن البحر ليدل على تيقنه من إبحار جيش طارق بن زياد نحو الأندلس بسفن تمخر العباب مستخدما أسلوب الاشتقاق ،إذ يستخدم اسم الفاعل من الفعل غير الثلاثي "مبحر" وجملة (ترى الجيشَ مبحراً) (٤٤) جاء فيها الفعل ترى ناصباً لمفعولين أصلهما المبتدأ والخبر "الجيش مبحر".

كما وظف الشاعر مرادف البحر وهو الخضم، والخضم في اللغة هو البحر الواسع (٤٥)

والمفردة تأتي في تركيب نحوي "شبه جملة "(من هذا الخضم) ليدل على مصدر هذه الموجة، مع مناسبة (الموجة) لـ (الخضم)، إذ بينهما علاقة بعض من كل، يقول:

هذه الموجة من هذا الخضم فيضان زاخر بين الأمم(٤٦)

ثالثا : التجمعات المائية: الغدران والجداول والحياض والبرك والينابيع:

وما يلبث الماء أن يقل ،فيصير حياضا وينابيع وجداول ،وحياض وبرك :

١- حياض الشاعر ليست حياض ماء تهب الحياة، لكنها حياض تسلب الحياة فجلها قد ارتبط بالردى وهو موروث تعاقب على نبعه العرب منذ الجاهلية ،فالإسلامُ في مراحله السياسية المتعاقبة، وخوف الإطالة يجعلني أتخير بعض الشواهد الدالة من ذلك قول المتنبي مادحا الفارس العربي" سيف الدولة الحمداني" في ذات المعنى المورود ، وبراعة المتنبي تجسد المعنى قائما تحت النظر، كأنك في جفن الردى وهو نائم .

أو قد يجئ التعبير بمفردة أخرى ترادف معنى الحوض ،ورود المنايا، وشرب مائها المجازي تعبير تداوله شعراء العربية، فالشاعر الشهيد "عبد الرحيم محمود " قالها شعرا، وطبقها فعلا في معركة" الشجرة" يقول: ورود المنايا ونيل المنى (٤٧)

أما شوقي فقد كان له شأنٌ وأي شأن في الحديث عن الحرية ،مما جاءت صياغته في صور عديدة ، يقول :

ومن يسقى ويشرب بالمنايا إذا الأحرار لم يُسقوا ويَسقوا(٤٨)

إذن فإدريس جماع قد ورد نبع الفخر واستقى منه، ثم اجتره شعرا ينضح دلالة ، مستعينا بالانزياحات الأسلوبية على طريقة القدماء فسيرٌ مقدسٌ لملاقاة الردى، وحتى إن كان المورد مورد موت، فحب الردى يجري في الدماء، فتأتي ألفاظه منتخبة ألفاظ تملأ الفم :

إذا ردد القوم لحن الفـــدا وثبنا سراعا وكنا صدى

وسرنا صفوفاً نلاقي الردى ولو كان حوض الردى موردا(٤٩)

أو تأتي مفردة "الحوض "جمعا ، لتقوى الدلالة المقصودة وذلــك حــين تبعد الصفة المائية عن الحياض، فيضيفها للدم، لتنحال الصورة في شكل آخر، فحياض الدم التي سالت في مدينة "بورسعيد" تسيطر على عقله ،فهو قمينٌ بأن يواكب كل أحداث عصره، لا فرق عنده بين سودان ومصر وجزائــر، خطابــه الشعري ليس منحصرا في حدود وطنه، بل هو خارطةٌ حدودها الوطن العربي، بل الإنسانية جمعاء.

يستخدم جمّاع أسلوب النفي بـــ"لا" تسبق المبتدأ (مضاف إلى مضــاف إلى معرفة) ويأتي الخبر (شبه جملة جار ومجرور (جاءت هذه الصــورة فــي شعره، وذلك في قوله : ولا "حياض دم المستشهدين بها " فجملة " ولا حيــاض دم المستشهدين بها" ليدل النفي على أن تكــون (بورســعيد) قــد راعهــا دم الشهداء الذين نازلوا المعتدي، وذلك في الزمن الماضي.

ولا حياض دم المستشهدين بها وما تبدى من الأطلال والعطب

وكل أرض تراءت بورسعيد بها وانتاب ساكنها قاس من النوب(٥٠)

٢ – أما الينابيع فقد جعل منها عنوانا لقصيدة "ينابيع الشعر" التي يجد الشاعر فيها راحته وملاذه حين تشتد اللأواء ويتفاقم البؤس "والنبع" الذي هو وصف للشعر، وصف دلالته واحدة من المتلازمات في حياة الشاعر، لأن الشعر هو الحياة التي أبقت عليه مبدعا ،فلولا الشعر لما عُرف إدريس جماع، ولكان انفصاله العقلي عن مجتمعه قضية فردية لا تهم إلا المحيطون بــه .وتوظيــف الصور المتداخلة وسيلة الشاعر لتوصيل الدلالة للمتلقي، يقول:

الشعر من نبع الحياة ووحيه من كل حي زاخر بوجودها(٥١)

وتأتي لفظة الينابيع جمعا مضافا إلى الشاعر لتشير إلى مناحي القوة فيه، وإن عوادي الزمن لم تنل منها، مما يدل على مكابدته للأمور التي يعاني منها، وقد وظف الشاعر الفعل الناسخ "زال" جاء في النحو الوافي أن (زال) "إذا وجد قبلها نفي أو شبهه، وهو النهي والدعاء، انقلب معناها للإثبات (٧٦) وأفادت دلالة صمود وصبر جمّاع ولكن يبدو من سيرة حياته أن تلك العوادي قد انتصرت عليه في النهاية. يقول:

ينابيع قوتي لم تزل تزخر تحت الهجير بالجريان(٥٢)

٣ – تأتي اللفظة الأخرى الجدول في قصيدة "الشعر والحياة"، وريشة الشاعر ترسم صور الوجود وتجعله خميلة جميلة حتى شوكها لا يفسد جمالها، فمفردات الصورة تتجزأ مفصلة، تتناول أدق الأشياء لتُخرج الصورة في كليتها المنسقة التي لا يند عنها جزء، فالخمائل صورة معهودة ولكن تأتي إضافة الشاعر في تفاصيل لا تقف عندها العين ولا الخيال، فجمال الشوك شيء جديد، ولا نستغرب ذلك فالشاعر الذي يستعذب ماء بكائه يجد لذة في رؤية الشوك، ومن ثم فمَن من الناس يعجبه الوحل؟ يقول:

صور الوجود خميلة في شوكها في أغصن تمتد خلف حدودها

والوحل فيها والجداول ثرة والماء يجري في نضارة عودها(٥٣)

أو تأتي المفردة تفسيرا للتكرار، فالحياة لا تساوي أكثر من نظرة عابرة عنده ثم يمضي كجدول ماء منتش، فالدلالة هنا تشير إلى حديث رسول الله ﷺ فقال :ما لي وللدنيا؟، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها . والبيان يتراكب بعضه مع بعض تشبيه واستعارة يتعاضدان ،فهو يشبه نفسه بالجدول، والجدول في استعارة مجسدة شخص في حال انتشاء، ويستخدم التكرار تأكيدا ليبين قيمة الحياة عنده، كل ذلك يخدم الصورة ويجلي الدلالة، يقول:

والحياة الحياة أن أرمق الدنيا وأمشي كالجدول النشوان(٥٤)

٤ – لفظة العين لم ترد إلا مرة بصيغة الجمع في خطاب شعري بمناسبة الاحتفال بمرور عام على ذكرى الحرية، أتت جمعا لأنه في عُرف الشاعر متى نيلت الحرية تبعها النماء والمجد، ولا يجد الشاعر معجما يرفد رؤاه غير الطبيعة ومائها ،لذلك فأمنيات الشاعر أنه مادامت البلاد تحررت فأمام عينيه يتراءى الغد مشرقا، يقول :

أفسحوا الطرق لحريتكم تجدوا الجنة في ساحتنا

وبدا بين عيون ثرة ورياض زاهيات غدنا(٥٥)

في موضع سابق وجدنا الشاعر يسترخص كل شيء في سبيل فنه، ولا يستهين بشيء يمكن أن يوظفه لخدمة هذا الفن، حتى انعكاس الزهر في مرآة الغدران، فاستخدم الجمع ،ولم يستخدم المفرد "غدير" ليقفنا عند دلالة كثرة فعل الشاعر ذلك، وقوله "يستوقف جفني " وواضح توظيف البيان، في استخدام الجزء بدلا عن الكل، يقول:

وَانْطِبَاعُ الزَّهْرِ في الغُدْرَانِ يَسْتَوْقِفُ جَفْنِي(٥٦)

والغيم مد على الآفاق أجنحة ونام في الشط أحقاف وغدران(٥٧)

٥ - لم يستكثر الشاعر من ذكر البرك، والذي ذكر منها، كان في معرض الحديث عن الطغاة الذين يزرعون الشر بذرة فتغدو غرسا سقياه الظلم، وثمره البغض الذي يترسخ في ضمائر الشعوب، فالبركة ليست محلا للماء مثلها مثل الحياض، لم تحو ماءً بل كانت محلا للدماء .

شهد التاريخ كم من فاتح لطخ الأرض وعادى وانتقم

من جنون العسف يمشي ثملاً فاجر الإحساس تياه القدم

يغرس الشر ويسقي غرسه يظلم الحق ويدني من ظلم

ما الذي يجنيه من بركة دم غير بغض الشعب ما دام عزم(٥٨)

يوظف جمّاع ما الاستفهامية مع الجملة الاسمية في شعر ، أفاد الاستفهام بـ(ما) تقرير أن المستعمر لن يجني من الدماء التي يسفكها سوى بغض الشعب، وقد أفاد عجز البيت هذا المعنى.

رابعا : الماء في حركته : اللجة واللجج والسيل والأمواج والتيار

١ – اللجة واللجج ،ذلك الماء في خضمه وفي مجاريه العظيمة كان مصدرا لمفردات أحال الشاعر دلالاتها لما يريد أن يكشف عنه ، ومعنى اللجة في اللغة هي تردد الأمواج (٥٩) ، وكيفما كان السياق أتت اللفظة في استعارة تدلل على القوة، من لجة مفردة ، إلى لجج مجموعة ،وقد تشتد قوة تلك اللج فتصيرا تيارا هادرا وتشتد أكثر حتى تنحال سيلا جارفا ،ولربما اكتفى بالصفة دون الموصوف إذا وجد فيها غنى فاللجة واللجج ، تأتي أحيانا مفردة وأحيانا تأتي جمعا ،وفق ما يقتضي السياق، وقد تأتي في سياق تكون فيه اللج شيء غير مرئي حين يضيفها الشاعر للأثير حيث يضيع صوته، يضيع في العدم الذي جعل له سرابا يتراءى، أو تكون اللجج على حقيقتها لتناسب الدلالة التي يعنيها ،فصوته ليس شيئا غير قطرة تسكب في بحر عظيم ،فماذا تساوي تلك القطرة؟ دلالة على القلة التي تتناهى حتى تنعدم ، وتتلاشى في المحور الدلالي الذي تلتقي فيه الدلالات المتفرقة في شعره وهو بؤسه الملازم، يقول:

وفي لُجج الأثيرِ يذوب صوتي كساكب قطرةٍ في لُجّ بحر(٦٠)

وتأتي اللفظة في معرض الحديث عن الحرية والنضال، ولقد شُغل الشاعر بأمر الحرية، وفي تقديري إن هذا الموضوع لربما كان له فائدة عظمى للشاعر، فقد شغله عن علته ولولاه لساء الأمر أكثر مما هو سيء ،فموجة التحرر تبدأ مجرد موجة لكنها ما تلبث أن تغدو لجة ،فلججا ويعظم أمرها فتغدو خضما، يسري بين الأمم، فموجة التحرر تنساح دائماً إلى مدىً أبعد، هي موجة مجسدة ذات طاقة جبارة تكتسح الذل والهوان، يقول:

ومن الموجة فاضـــت لجة تكسح الذل وتجتاح الرمم

قد بدا من ثغره فيض السنى وطغت لجته ثم التطم(٦١)

٢ – ويشتد اندفاع الماء في صورة سيول، وقمين بالشاعر أن يوظـف اللفظة في سياق الحديث عن النضال والحرية، فتلك الموجات التـي تراكمـت وتزاحمت حتى عظمت وصارت لججا، أحالها الشاعر سـيولا مزبـدات يشـتد تيارها ويقوى، وتفنن في استخدام اللفظة ما بين إفراد وجمع، فإذا جاءت جمعا فلأن الأمر بلغ ذروته قوة وشدة، ويجئ الأسلوب انزياحيا يتراوح مابين تشبيه مباشر، لا يتغير فيه السيل عن حقيقته ،فالشاعر يكتفي بدلالة السيل الحقيقيـة ويوظفها لبيان قوة العزم يقول:

هتفت تطالب بالجلاء وعزمها متدافع كالسيل في تياره(٦٢)

أو يأتي الانزياح استعارة لتوافق المساق الذي وردت فيه، فالدماء التي تسيل تضحية لا ترهب المناضلين في سبيل الحرية ،بل تزيد النار أوارا، ويشتد الغضب حتى فاق السيل في قوته ،والتعبير يدلل على مبلغ الغضب الذي يجرف الناس ويأتي حرف الجر من لإفادة التبعيض فالسيل بقوته وشدته أصبح جزءا من الغضب، وفي ذلك من الدلالات ما فيه لأن الأمر ههنا أمر حرمـة الـدماء التي حرمها الله .يقول:

وكم دم تصدم الدنيا بشاعته فيجرف الناس في سيل من الغضب(٦٣)

ومن عجب إن الشاعر حين وظف لفظة السيل في حديثه عن نضـالات الشعوب، جاء توظيف اللفظة السيل مفردا، سواء أكان في دلالته الحقيقيـة أم الدلالة الانزياحية ، بينما قد استخدمها في صورة الجمـع حـين تحـدث عـن شجون نفسه، في دلالة سوداوية تصور مبلغ الأسى الذي يعيشه، و أتت اللفظة في دلالتها المعجمية لأنها أقوى في توضيح الصورة، يقول:

وَإِذَا مَا زَحَمَتْ نفسْي شُجُونٌ طَاغِيَةْ
وَتَرَامَتْ كَالسُّيُولِ انْفَلَتَتْ مِن رَابِيَةْ(٦٤)

وقد يستعير صفة من السيل دون أن يذكره، طالما أن الصفة تؤدي الغرض، يقول:

غضب تعالى جارفا عبر المدائن والدساكر(٦٥)

٣ – أكثر الشاعر من ذكر الموج، حتى أنه سمى إحدى قصائده بـ"هذه الموجة"، فهي إما موجة مفردة تمثل نضال الشعوب ،تبدأ حركتها خفيفة لا تكاد تُرى ثم ما تلبث أن تتسع فتصبح لججا كاسحة ، في دلالة حماسية لتشمل أمم الأرض قاطبة، فلا أحد يرضى الاستعباد والذل فالإنسان خلق حرا وكما قال الشابي " ولدتَ طليقا كطيف النسيم(٥٤) فالألفاظ تتزاحم إفرادا وجمعا، ضعفا وقوة لتشكل الصورة في دلالتها الكلية قصدا من الشاعر لاستحضار اللفظة المرادة " هذه الموجة " في ذهن المتلقي، ولكم كان الشاعر مولها بالحرية ونضالات الشعوب، ويوظف الشاعر التركيب النحوي مستعينا بالجملة الإسمية، فيأتي المبتدأ اسم إشارة والخبر جار ومجرور ، وذلك في قوله :هذه الموجةُ من هذا الخضم، وقد أفاد اسم الإشارة إنزال المعنوي (موجة التحرر) منزلة الحسي المشار إليه. فعطف البيان (الموجة) يتبع اسم الإشارة (هذه) ، وكذا كلمة (الخضم (التي وضحت متبوعها (هذا)، وذلك في سياق يبين عن دلالة هي اعتداد الشاعر بموجة التحرر. يقول:

هذه الموجة من هذا الخضم فيضان زاخر بين الأمم
ومن الموجة فاضت لجة تكسح الذل وتجتاح الرمم(٦٦)

أو تأتي اللفظة جمعا، فهو موجٌ منساب ،ورغم أن دلالة الانسياب هي الهدوء والرقة ،ولكنها تتلبس القوة من الشكل التصويري الذي استخدمه الشاعر، عندما استفاد من التركيب النحوي ممثلا في إضافة الموج إلى

الجيش، ليوصل الدلالة إلى غايتها وهي عظم الجيش الذي يخرج لملاقاة العدو، إنها جحافل تتلاقى ،والشاعر كدأبه ينهل من التراث الشعري فتصويره يحيلنا إلى قول بشار :وجيش كجنح الليل يزحف بالحصى(٦٧) (ديوان بشار)

فيقول : وانساب موج الجيش والتقت الجحافل بالجحافل(٦٨)

أو هي موجة مفردة ضئيلة حتى أنها تحتاج إرهاف السمع، وتتبع البصر، فما تلك الموجة؟ إنها واحدة من القرابين التي يقدمها الشاعر في سبيل فنه، دلالة على ما يمثله له هذا الفن، فالساعات التي ينفقها قربانا لفنه تتمثل في تلك الدلالة التي تحتاج إعمال نظر، وقد تكون صبرا في متابعة الموجة من مبتدئها إلى منتهاها، سمعا ورؤية، فشاعرنا يجمع من المنابع ما يرفد هذا الفن، ومنابع الطبيعة أوفر رفدا، حتى إن كانت مجرد موجة ضئيلة في خضم عظيم، فهي ستصير عظيمة ذات شأن عندما تلبسها براعة الشاعر دلالة أخرى غير دلالتها المعروفة ،قطع من فسيفساء الألفاظ تتجمع لتظهر الصورة الكلية في أبهى منظر، يقول:

تَذْهَبُ السَّاعَاتُ مِنْ عُمْرِيَ قُرْبَانَاً لِفَنِّي
أُتْبِعُ المَوْجَةَ طَرْفِي وَلَهَا أُرْهِفُ أُذْنِي(٦٩)

أو نجد الموج في معرض يحسبه الإنسان فرحا وسرورا، حين يصغي لغناء الموج المموسق، ولكنها أغنية الحزن والآهات، فالمظاهر أحيانا خداعة كما يقولون لا تعكس الحقيقة الخفية، أولم يقل المتنبي في هجاء كافور" ....ولكنه ضحك كالبكا"؟ ولكن شاعرنا لم يلجأ إلى التشبيه ،بل لجأ إلى مزج الأصوات فرحا وآهاتا وأنينا ،ولا يكون الأنين إلا للألم، ذلك لأنه قد صور حركة الموج أشجان ولواعج تتردد في القلوب، فالشاعر حين يستعير من الطبيعة مظاهرها المختلفة ،يجعل من تلك المظاهر سبيلا لتصوير حاله البائس، يقول:

وردد الموج في الشطين أغنية فيها اصطفاق وآهات وحرمان

وخفقةُ الموجِ أشجانٌ تُجاوبها من القلوب التفاتاتٌ وأشجان(٧٠)

أو يأتي الموج في مساق الطموح والرفعة والعلياء، ففي قصيدة العلم والاحتفاء به يصور الشاعر فرحة الشعب بالحرية، وكان العلم رمزٌ لذلك، فالشعب قد ملأ الفجاج تدافعا، فما من صورة تمثل الدلالة غير صورة الموج في صخبه وتدافع دوائره يلحق بعضها بعضا، يقول:

وربوع سال فيها صاخب الموج دفوع(٧١)

والشاعر أحيانا يرفد شعره بوزن من الأوزان الصرفية في صيغة الجمع ،فكلمة" دفوع " جمع للاسم دفْع التي وردت في القرآن " وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ(٧٢)

المبتدأ نكرة والخبر ظرف زمان مقدم .جاءت هذه الصورة مرة واحدة في شعر جمّاع، وذلك في قوله:

لياليّ أمواجٌ تمرُّ فإن دنتْ من الشط لاشتْ مدّها أهةٌ حرّى(٧٣)

أفاد مجيء المبتدأ نكرة (أمواج) العموم، عموم ما يقابله الشاعر من أنواع الأسى. وجاء الخبر ظرف الزمان المقدم (ليالي) ليدل على وقت مرور هذه الأمواج في إشارة إلى وقت مكابدته همومه.

٤- التيار من متعلقات الماء في حركتها الهادرة السريعة ،وتنوع ذكره في شعر "جماع" فهو إما في معرض شكوى وأنين وأسى، حين يرى الشاعر أيامه تساقط كأوراق ذاوية تذروها الريح، ودوح عمره حنته الأيام وما لبث أن انكب وهوى، تتزاحم الدلالات حتى تقف عند الدلالة المقصودة بالتيار هنا، دلالة تكشفها لفظة "الإجفال" دلالة ذلك الصوت هو صوتٌ من وراء قضبان الأسى والبؤس ،فالشاعر لا يني عن تصوير حاله كلما وجد الفرصة لذلك، يقول:

و أيامي تساقط من حياتي كأوراق ذوت والريح تذري

تطامن دوحها وهوى مكبا وأجفل عنه تيار بنهر(٧٤)

أو هي لحظات من التأمل حين يجري الشعور مع النيل، وتسكن الروح، وتقهرها قوة التيار الهادر، واللفظة تأتي بمعناها المعجمي، ولكن في صورة تحتشد بصور البيان، فتجسيد الشعور، والروح التي تغني، ثم تنساق طائعة لتيار النيل الهادر. يقول:

ولكنْ مع النيلِ يجري شعوري ويطفح في موجه الفائر

وتهزج روحي له ساجياً وتعنو لتيّاره الهادر(٧٥)

الضية الأخرى التي تشغل باله وهي قضية الوطن المحتل، وفي انعقاد البرلمان ، والشعب كصوت رجل واحد يطالب بالجلاء بعزم قوي قوة تيار السيل، وما يحتمل السيل من الزبد يذهب جُفاء إنها "نسمة الحرية"، إنها موجة التحرر، حيث يلتقي التيار ثم يمضي قاصدا غاياته، ويتكفل التشبيه بإبانة الصورة ،وتوضيح دلالتها. يقول:

هتفت تطالب بالجلاء وعزمها متدافع كالسيل في تياره(٧٦)

والتقى التيار وانساح كما تحضن العالم أمواه الخضم (٧٧)

خامسا : متعالق الماء ومجاوره :الشطآن والضفاف

١ – هذه المفردات تناثرت بين أبيات القصيد ،إذ ورد ذكرها في معناها المعجمي لأن السياق يتطلب وجودها يقول : وعلى شواطئه الطبيعة وهي فتنه من نظر(٧٨)

وحين يتوجه الخطاب إلى الحديث عن النضال الذي خاضه السودانيون، ونالوا حريتهم انفتحت منافذ عديدة تمثلت في الشطآن التي تهب منها النسائم الحلوة، وليس أحلى من نسيم الحرية ،إن كان لفرد أو كان لشعب. يقول:

ومن الشطآن هبت نسمة و إلى حرية أفضت بنا(٧٩)

ولا تزال كلمة الشطآن تدور في فلك التحرر، فبعد ذلك النضال النبيل، وموج المجابهة مع العدو، وصل زورق الحرية إلى شواطئ الحرية التى كانت منىً يداعب النفوس.

بعد موج لا يحيه السنى أدرك الزورق شطآن المنى(٨٠)

أو يأتي باللفظة على حقيقتها مثناة، ويحكي تلاطم الموج بينهما، تلاطم هو أغنية ترجع دلالتها لحال الحرمان والألم والآهات. يقول :

وردد الموج في الشطين أغنية فيها اصطفاق وآهات وحرمان(٨١)

أو تجئ المفردة في حال الإفراد "شط"، بنفس حروف الأولى "شاطئ" هو نفس المعنى، لكن الاختلاف يكون في الجمع " شطؤ ، وأشطاء، وشطء" (٨٢) لتفيد دلالة مجازية، فقد مضى العمر بأيامه الحافلات، وهو على حافة العمر الذي يميزه الشيب دلالة على بدء مرحلة الضعف الذي ينتهي إلى فناء العمر، التي وصفها القرآن، ضعف فقوة، ثم ضعف(٨٣) وقد استغنى الشاعر عن ذكر متلازم المشيب، إذ يكفيه ذكر ما حفلت به أيام الشباب، في موضع تغني فيه الدلالة المذكورة عن الأخرى. يقول:

مضت الأيام بي حافلة وأنا الآن على شط المشيب(٨٤)

٢-ويأتي مرادف الشاطئ، وهو لفظة "الضفاف" نجدها في توظيف تشخيصي، فالشاعر كان في واحدة من حالات توهانه مع الفناء الذي هو مصير كل حي، تأتي اللفظة بدلالتها المعجمية، في سياق مجازي، فالمقام مقام حسرة وأسف، فالشاعر يبكي على نفسه بدموع غير مرئية، ولكن تكشفها الألفاظ الدالة في قصيدة في "مهب الريح" فيصور حال فنائه، وبقاء شعره الذي

ستشدو به الشداة، ولا شيء سيتغير، وكأني به يرى أنه من الأفضل أن يتوجه بخطابه للضفاف فحسب. يقول:

سيبقى بعد مسراي الشُداة وكأن لم يكن شيء يا ضفاف(٨٥)

الخطاب الشعري الذي مجد النضال، والحرية لا ينتهي عند قصيدة أو قصيدتان ،بل نجده ماثلا في كل حين، فلفظة ضفاف تطالعنا في معرض التحية للعلم ، فالعلم الخفاق رمز الحرية يرفرف فوق الضفاف ، وقد استعان الشاعر بجزء الصورة ليدل بها على الصورة كلها رفرفت فوق ضفاف كل ما فيها يروع(٨٦)

مشاهد طبيعية تقف عندها أبصارنا ثم تتجاوزها ،لأنها اعتادتها، فما تلبث لغة الشاعر قليلا حتى تكسوها ثوبا جديدا من دلالات تدهش لمرآها الجديد نفوسنا ،ونحبس قليلا عند مسألة من مسائل النقد المعروفة؛ أيهما أجمل المشهد الطبيعي أم المشهد الشعري؟

سادسا: بعض صفات الماء من فيض وفيضان وتدفق

في هذا الموضع يوظف الشاعر أصوات الماء مع تنويع الاشتقاقات فنجد استخدام المصدر من فيض وفيضان وأفعال تنتقل من الماضي "فاض" إلى المضارع وفق ما يقتضيه السياق ،وتنوع الدلالات في معانيها المعجمية ، والمجازية، كل ذلك مما أثرى الخطاب الشعري، يقول :

ومن الموجة فاضت لجة تكسح الذل وتجتاح الرمم

قد بدا من ثغره فيض السنى وطغت لجته ثم التطم(٨٧)

لحن يفيض حماسة فكأنما تتناثر النيران من أوتاره(٨٨)

مِثْلَـهُ أُرْسِـلُ شِعْرِي إِنَّهُ فَيْـضُ شُعُـورِي(٨٩)

سابعا: السحب والغيم :

١ – ذكر المطر وما يتعلق بها قديمٌ في الشعر العربي(٩٠)، ولكن اختلفت الرؤى باختلاف الزمان لم يكتف الشاعر بتوظيف الماء ومتعلقاتها في الأرض وتحوير دلالاتها، بل ارتقى إلى الأعالي ليوظف ماء السماء ومتعلقاته ، فانثالت ألفاظ بدلالاتها الجديدة تثري الخطاب الشعري، فجاء أغلبها في معرض النضال والحرب، وفي هذا الموضع تنوعت صياغة الألفاظ ما بين أسماء ذات أو أسماء عين فيستعمل الاسم بدلالته المعجمية ، وبصفته أو المصادر أو الأفعال لنقل الصورة، ويستخدم أسلوبا يعتمد على أفعال الرجحان "يحسب" ويصف تلك الجيوش وتلاحمها ،وما يصدر من الأسلحة من أصوات ،وأضواء ، كأنما لم يكن ميدان لقائها في الأرض بل في السماء تتصادم أسلحتها فتصدر الأصوات المرعدة والبريق الذي كأنه ومضات البرق، يقول: أصوات ترعد مدوية في نفير الجهاد

يحسب الرعد قذفة ويظن البر ق نورا مصوبا وسعيرا(٩١)

وحين تتلبسه الرومانسية لا يجد مثل الماء وسيلة لنقل شعوره، ماء مموسق يمثل به جزءا من صورة أتت كل أجزاؤها كدعوة لترك المدينة وزخمها، والهروب إلى البادية حيث الطبيعة تهب جمالها لكل من يرغب، في قصيدة "نومة راعي"، فتأتي لفظة المطر منغمة بوقع أقدام غنيمات الراعي، يقول: كم وقعت أقدامها في الأرض أنغام المطر(٩٢)

٢ – أما لفظة السحاب، فإنها تأتي في شعره مفردة وجمعا وجمع الجمع وفق السياق وقصد دلالة معينة، وقد تفجؤنا اللفظة حين تأتي في موضع غير منتظر ، فلفظة السحب مظنة الخير، أما والشاعر يعرض ما حدث لمصر من غزو الصليبيين، فالسحب لا تهب مطرا ، بل تغدو مهبطا للردى، وتوظيف اسم المكان "مربض " يأتي توكيدا للمعنى ،يقول:

ما راعها زاحف يصلي شوارعها ولا الردى هابطاً من مربض السحب(٩٣)

وإذا تملكت الشاعر أحاسيس طارت به إلى آفاق البيان البعيدة فجمع من الألفاظ ما جمع ثم صاغ ذلك في دلالات متوسلا بالمجاز، مكتفيا بالصفة دون الموصوف، كما في قصيدة وفد البيان حين تتزاحم صور البيان لتبين عن دلالة يقصدها الشاعر، فالسحب تأتي جمعا لتعبر عن الشدة التي ينتظر لجلائها هؤلاء الفتية ممن ضمهم الوفد الزائر

وإذا الحوادث أرعدت وتلببت سحبا وأغطش ليلها وتجهما

إني لأبصر في ضياء وجوهكم فجرا ينير لنا الطريق المعتما(٩٤)

وقد تجئ لفظة "السحاب" في دلالة تبرزها الكناية ليعبر عن معالي الأمور، أويصير السحاب جمعا للدلالة على الصعوبة، لأن الجمع أجدر بأن يؤدي الدلالة المقصودة ، وتوظيف المضارع "تتعالى" يقفنا على المعنى الذي يريده الشاعر. ، يقول:

وبأفريقيا فتىً تتعالى نفسه أن تقر فوق السحاب

ونسور تشق ألوية السحب بعزم يحار فيه النسر

والسحب غدت طريقا يعبده فتية يفخر بفعلهم الشاعر فالشاعر حين يحيل هؤلاء الفتية نسورا، يحتار في فعلهم النسر مع أنهم من جنسه، ليبرز الدلالة المرجوة. وفي كل ما سبق يُلحظ التنوع ما بين المفرد والجمع في كلمة سحاب وسحب.

وقد يأتي التعبير بالمرادف*وهو الغيم ،والغيم في اللغة ،والغيوم تأتي في سياق الوصف، وتتلون بألوان من صور البيان، فالغيم يأتي في صورة مستعارة كأنه الطيور التي تبسط أجنحتها طيرانا، دلالة على تمدد الغيوم في صفحة السماء الوصف، وتتلون بألوان من صور البيان، فالغيم يأتي في صورة

مستعارة كأنه الطيور التي تبسط أجنحتها طيرانا، دلالة على تمدد الغيوم في صفحة السماء

والغيم مد على الآفاق أجنحة ونام في الشط أحقاف وغدران(٩٥)

وتأتي اللفظة في بناء جمعي، يقول:

أيها الضارب من خلف الغيوم أيها الشاحب من طول السرى(٩٦)

٣ – لم يفت الشاعر أن يأتي على ذكر فصل الخريف، الفصل الذي هو ثالث ثلاثة فصول فقط في السودان، فصل المطر والسيول الهادرة وفيضان النيل ،وما يتبع الفصل من اخضرار الأرض وتوفر الزرع وإدرار الضرع، حتى أنه يضارع إلى حد فصل الربيع في مظاهره لكن الشاعر قد أقل من ذكره، ويكاد الديوان يخلو من ذكر ذلك إلا ما ورد في قصيدة لك يا قضارف ،الذي يأتي في معرض جمال مدينة القضارف (٩٧) خاصة في فصل الخريف

بينما نجد الشاعر يتوسع شيئا ما في الحديث عن الربيع، مع أنه ليس من الفصول التي يعرفها السودان. وفي تقديري إن لذلك دلالة، فالخريف عند بقية الشعوب ارتبط بالكآبة ، وفي المثل يقال لكبير السن إنه في خريف العمر، فلربما تأثر جماع بذلك .

لي رأي مخالف رأي من يقول إن " جماع " لم يتصالح مع ذاته ، جماع تصالح مع ذاته التي أدرك مبكرا أنها ذات قد لا يتصالح معها المجتمع ، فبذل جهده ليفهم الناس ويفهموه، يقول :

واليوم صرتِ خريفها فاخضر منها ما تعرّى(٩٨)

الجملة الفعلية (اخضرِّ منها ما تعرى) جاء الفاعل فيها اسم الموصول (ما). وقد أفاد الإسناد تقرير تغيير حياة الشاعر بعد زيارته القضارف من القحل والجدب إلى الاخضرار، كما أفاد المقابلة بين (اخضرِّ وتعرِّى) يصف

حياته مستعيرا مشهد الربى في فصل الصيف، إشارة لحاله وحياته القحـــلاء، ولربما كانت القضارف رمزا لمحبوبة دخلت حياته فحولت صيفها خريفا زاهيا، ويقوي هذا الاعتقاد، ما سطرته الشواهد عن حال الشاعر وبؤسه، وما كشـــفه شعره. فلفظة الخريف جاءت في صورة متخيلة ،أضافها لمدينة القضارف التي تغنى بروعتها، فالشاعر يجعل الحقيقة بجانب الخيال في كثير من شعره أمـــرا ثانويا . وظف الشاعر التركيب النحوي ممثلا في الفعل الناسخ "صار "التي تفيد مع معموليها تحوّل اسمها وتغيِّره من حالة إلى حالة أخرى(٩٩) ينطبق عليها معنى الخبر في الزمن المناسب لدلالة الصيغة (صرتِ خريفَها)، واســم صـــار ضمير المخاطبة (التاء) العائدة على القضارف، وخبرها (خريف) المضاف إلى الضمير العائد إلى حياة الشاعر. ومن القليل عن ذكر الخريف ما جاء في نفس القصيدة السابقة، وهو يصف حال المدينة لما جاءوها، وكيف ازدهت الطبيعـــة من أثر الخريف، صامتها، والحي منها ،وتنثال الألفاظ بدلالاتها فهاتيك الطيور تبني أوكارها، وفي تقديري لم تأت لفظة أوكارها لتتسق مع القافية فحسب، بل هي اتساق مع ما يجول في نفس الشاعر، فالوكر غير العش، فالعش ما يجمعه الطائر من حطام العيدان وغيرها يجعله في شجرة، أما الوكر فهو ممـــا تبنيـــه الكواسر والجوارح من الطيور في جبل أو جدار وفـــي هـــذا المعنـــى يطيـــب الاستشهاد بما قالته الأعرابية حين أوصت بنتها عند زواجها، فقالـــت خرجـــت من العش الذي فيه درجت إلى وكر لم تألفيه، فوصفها لبيـــت والـــديها الـــذي خرجت منه إنه عشٌ، وما أخف العش الذي تبنيه الطيور على الأغصان، ومـــا أسرع زواله، بينما مثلت بيت الزوجية بالوكر ، والوكر بناؤه قوي في الجبـــال والأعالي ، مما يضمن له الثبات والبقاء(١٠٠).

ومما يتسق مع ذكر الماء ؛ السراب ،الذي ينأى بالشاعر بعيدا، فهو إذ يجعل للسراب مجرى، فهو قد انساق مع ماء السراب حتى جعل لـــه مجـــرى

،مجرىً لا وجود له إلا في خياله الهائم ،مما يدل على نفس وحال هي في توهان دائم،أو يجعل للسراب موجا حتى يخال للمتلقي أنه رؤيا العين، يقول:

وجرى في الوهاد موج سراب.

وفي قصيدة القضارف التي تعج بجمال الخريف، لا يعدم الشاعر سبيلا للكشف عن الحزن الذي تغلغل في روحه وأصبح بصمة ملازمة، لا يعدم سبيلا للظهور في ثنايا شعره، فالروح الشاردة إلى مجاري السراب بعدا وعزلة تجد الراحة حين تحيل مرئياتها إلى عالم الناس ،في تماه يوقظ الحواس لتقبل الدلالة المقصودة، فتأتي المفردة في تركيب نحوي يسهم في نقل المعنى إلى دلالة جديدة :

أفضي الي مجري السراب فرده للماء مجري(١٠١)

ويتراءى السراب في دلالة أخرى ،وينزاح الشاعر مرة أخرى لألفاظ أهل المنطق، نزوحا يلج في اللاشيء إن جاز التعبير، فالسراب ليس بشيء حسب الوصف القرآني"...حتى إذا جاءه لم يجده شيئا"(١٠٢) والعدم في مفهوم الفلسفة العدمية(١٠٣)هو غياب الوجود ،ياتُرى إلى أين مضى الشاعر؟ فالدلالة توغل بعيدا في فراغ يسوق بعضه بعضا حتى يفضي إلى عوالم غير مرئية ،ويبحر بالمتلقي في هوة ذهنية لا يجد لها مخرجا، مما يقف دلالة على نفس تغوص في فضاءات غير متناهية تجد فيها سلواها، والذي يعرف عوالم الشاعر يدرك ذلك، ومن له صلة بالمعري يجد شيئا من الشبه في هذه الحالة. ففي قصيدة " من دمي أسكب الألحان، يقول:

وتراءى بين عيني سراب العدم(١٠٤)

ومثل السراب الذي هو ليس بماء، يأتي الماء في غير صورته الحقيقية، مجازا، في إضافة تمثل تشبيها في غير صورته المعروفة، فالمشبه

به يضاف للمشبه، كما تمثل تركيبا نحويا منحصرا في الإضافة التي تفيد تعريفا للمشبه مما أسبغ بلاغة تمثلت في التماس شبه في غير جنسه (الهلال) يقول:

هل أنت حسناءٌ جرى بعروقها ماء الوسامة والوضاءة كالدمى(١٠٥)

والدلالة التي تجسد الصورة كاملة، طيورٌ تبني أوكارها، منظر يماثل فرحة البشر عند تكوين أسرة جديدة، ومظاهر الفرح التي تصاحب ذلك، دل إسناد الضمير نون النسوة إلى الفعل يبني في قوله (يبنين) على التجدد والحركة التي تقوم بها الطيور وهي تبني أوكارها مع عدم انقطاع غنائها لتضفي جمالاً ينشده الشاعر في هذه الحياة، يقول:

جئنا وأطيار الخريف صوادح يبنين وكرا(١٠٦)

الخاتمة

تناولت هذه الدراسة دلالات الماء في شعر إدريس محمد جمّاع ، وقد قدمت لها بملخص للبحث، ومن ثمّ مقدمة ضمنتها تحديد مشكلة البحث وأهدافه، واتبعتها بتعريف الشاعر؛ اسمه وميلاده ووفاته، وقدمت لمحة عابرة عن إنتاجه الشعريّ، تلا ذلك التطبيق الذي قسمت موضوعاته إلى سبعة عناصر متتبعة الدلالات بدءا من لفظة الماء بمعناها المعجميّ وصفته الرئيسة ،تلاها الماء في مجامعه الكبيرة نيلا ونهرا وبحرا، ثم الصغيرة أعني الحياضَ والجداولَ والغدران والينابيع والبرك، ووقفت على حركة الماء من أمواج وتيار ولجج وسيل، ثم متعالق الماء من شطآن وضفاف، وعرجت على بعض صفات الماء من فيض وتدفقٍ، وحبست قليلا عند ماء السماء، وختمت بماء ليس بماء لما له من دلالات تكشف عن مكنون الشاعر.

تلك كانت حصيلتي من هذه الدراسة التي حاولت فيها استقراء الدلالات التي قصدها جمّاع من استخدامه للفظة الماء وما يتعلق بها، وقد توصلت الدراسة إلى أن جمّاع قد استخدم المعاني المعجمية حين يجدها تؤدي المعنى ، أو يستعين على تلك المعاني بأساليب البيان من تشبيه واستعارة، وأساليب الخبر والإنشاء، ويستفيد من توظيف التراكيب النحوية المختلفة ، وقد تنوع ذلك التوظيف ،فهو يستخدم الجملة بشقيها اسمية وفعلية، وينتقي من الأفعال ما يتفق والسياق، وعرج على التوابع يوظفها، ولم يغفل الأبنية الصرفية والاشتقاقات.

ومازال شعر " جمّاع" أرضا بكرا، غنية بكنوز البيان والبديع والأساليب المتنوعة، كما إنها ملأى بأساليب اللغة من نحو وصرف ودلالات، بيد أن أقلام الباحثين لم تطرقها بعد .

الهوامش

(١) الشاعر السوداني إدريس جمّاع – حياته وشعره – محمد حجاز مدثر–الدار السودانية للكتب – الخرطوم– إدريس محمد جماع حياته وشعره،ص٤– ٦ أبو هالة عبدالقادر إدريس، مرجع سابق، ص ١٧.شارع البلدية– د.ت.ط .إدريس جماع حياته وشعره، عادل أحمد الزبير، الدار السودانية للكتب، ٢٠٠٥م، ص٧ .

(٢) الألوكة الأدبية واللغوية – النشر في ٢٠١٤/١٢/٢٢.ديوان العرب– بقلم فاروق مواسي–٢٠١٦/٦/٨.

(٣) قصيدة روعة الشعر، قصائد منشورة لا يتضمنها الديوان –صحيفة اللغة العربية وموسوعة التوثيق الشامل، الصفحة الرئيسة، أ.د. محمد عبد الله سليمان.

(٤) إدريس جماع: لحظات باقية، تحقيق منير صالح عبدالقادر، القاهرة، أبو ظبي (١٩٨٤)، دار البلدية بالخرطوم، الخرطوم (١٩٩٨)ص ٥ – ١٠.

(٥) لحظات باقية ، شعر إدريس محمد جماع ، الخرطوم دار الفكر الخرطوم ط ٣ – ص٥.

(٦) المصدر السابق ص٧.

(٧) العمدة في محاسن الشعر وآدابه: أبو على الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي (المتوفى: ٤٦٣ هـ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد الناشر: دار الجيل الطبعة: الخامسة، ١٤٠١ هـ – ١٩٨١ م عدد الأجزاء: ٢ ج١ص١١٥).

(٨) الديوان ص٦٧.

(٩) شرح ديوان المتنبي– عبدالرحمن البرقوقي– دار الكتاب العربي – بيروت – د.ت، ط .

(١٠) كتاب شعرية الماء، دار نينوى للدراسات والنشر والتوزيع،٢٠١٨/٢/٢٥ ،ص٦.

(١١) الديوان ص٣٩.

(١٢) نفسه ص٣٣.

(١٣) محمد حجاز مدثر ص٤٦.

(١٤) الديوان ص ١٧.

(١٥) المصدر السابق ص٢٢.

(١٦) نفسه ص ١٢٩.

(١٧) نفسه ص ٦٣.

(١٨) نفسه ص٥٢.
(١٩) نفسه٣٨.
(٢٠) بخت الرضا، بوابة الشعراء، شعراء الفصحى في العصر الحديث، السودان ، ديوان .. إدريس محمد جماع ،٢٠١٦/٦/٩ .
(٢١) الديوان ص٨٦.
(٢٢) السامرائي، فاضل صالح (١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٧م)الجملة العربية، تأليفها وأقسامها ، ط٢ ،الأردن، دار الفكر، ص١٣ .
(٢٣) رباع نيوز، صحيفة رباع، صفحة التراث، الشاعر السوداني المرهف إدريس محمد جماع ، من القصائد التي لم أتوفر عليها في الديوان.
(٢٤) ديوان أبي فراس الحمداني، المحقق: سامي الدهان، دار النشر: المعهد الفرنسي، بدمشق، ١٣٦٣،١٩٤٤، سوريا
(٢٥) سورة البقرة الآية ٢٥١ .
(٢٦) سورة الأنعام الآية ١٢٥.
(٢٧) الديوان ص ١٣٩.
(٢٨) نفسه ص٤١.
(٢٩) نفسه ص٦٢ .
(٣٠) نفسه ص ٣١.
(٣١) الديوان ص٤٠
(٣٢) انظر تصريف الأفعال والمصادر والمشتقات للدكتور صالح سليم الفاخري، عصمي للنشر و التوزيع،القاهرة،١٩٩٦
(٣٣) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدي- د.ت-ج١-ص١٢٥
(٣٤) الديوان ص٣٧.
(٣٥) نفسه ص١٠٨.
(٣٦) نفسه ص ٩١.
(٣٧)ابن عقيل، مرجع سابق،ج٢،ص٧٦.
(٣٨) انظر مصطفى طيب الأسماء: الهادي العمرابي: حياته وتراثه الأدبي (مخطوط).
(٣٩) الديوان ص٥٥.

(٤٠) انظر مصر في الشعر السوداني الحديث: الرؤية والأداة الفنية، محمد محجوب عبد الحميد، أستاذ مساعد، قسم اللغة العربية، كلية التربية، جامعة أم درمان الإسلامية.

(٤١) الديوان ص٦٥.

(٤٢) نفسه ص١٧.

(٤٣) نفسه ص٥٦.

(٤٤) شرح ابن عقيل، مصدر سابق ،ج٢،ص٣١.

(٤٥)المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، ج.م.ع، مكتبة الشروق الدولية،١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م، ط٤،ص٨٦٦.

(٤٦) انظر ابن إياس : بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٢ الجزء الاول ص٢٧٧.

(٤٧)ديوان عبد الرحيم محمود- تقديم كامل السوافيري . بيروت: دار العودة،١٩٨٧ ص٧.

(٤٨) الشوقيات ،ج١،دار العودة بيروت،ص٢٩٤.

(٤٩) الديوان ص٥٩.

(٥٠) نفسه ص ٥٥.

(٥١) نفسه ص٦١.

(٥٢) نفسه ص ٨٦.

(٥٣) نفسه ص٦٨.

(٥٤) نفسه ص٢٤.

(٥٥) نفسه ص ٣٢ .

(٥٦) نفسه ص١٧.

(٥٧) نفسه ص٤٠.

(٥٨) نفسه ص٢٣.

(٥٩) المعجم الوسيط، مصدر سابق،ص٨٦٦.

(٦٠) الديوان ص ٨٦.

(٦١) نفسه ص٢٣.

(٦٢) نفسه ص٢٧.

(٦٣) نفسه ص٥٧.

(٦٤) نفسه ص١٨.
(٦٥) نفسه ص٥٣.
(٦٦) نفسه ص٢٣.
(٦٧) ديوان بشار بن برد-جمعه وشرحه وعلق عليه :فضيلة العلامة سماحة الإمام الشيخ :محمد الطاهر ابن عاشور ووقف على طبعه:محمد رفعت فتح الله ،الأستاذ بالأزهر ومحمد شوقي أمين المحرر في مجمع اللغة العربية بمصر١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.ص٢٩٣.
(٦٨) الديوان ص٣٥.
(٦٩) نفسه ص١٨.
(٧٠) نفسه ص٤٠.
(٧١) نفسه ص٢٠.
(٧٢) سورة البقرة الآية ٢٥١.
(٧٣) الديوان ص٨٢.
(٧٤) نفسه ص٨٧.
(٧٥) نفسه ص٤١.
(٧٦) نفسه ص٢٧.
(٧٧) نفسه ص٢٣.
(٧٨) نفسه ص ١٠٩.
(٧٩) نفسه ص ٣٤.
(٨٠) نفسه ص ٣٣.
(٨١) نفسه ص ٤١.
(٨٢) المعجم الوسيط، مصدر سابق،ص٤٨٢.
(٨٣) سورة الروم الآية٥٤.
(٨٤) الديوان ص٩٨.
(٨٥) نفسه ص٢٤.
(٨٦) نفسه ص ٣٠.
(٨٧) نفسه ص ٢٣.
(٨٨) نفسه ص ٢٧.
(٨٩) نفسه ص ١٧.

(٩٠) المطر في الشعر الجاهلي ــ د. أنور أبو سويلم- دار عمار-عمان-ط١٤٠٧،١هـ -١٩٨٧.
(٩١) الديوان ص ١٧.
(٩٢) نفسه ص ٩٩.
(٩٣) نفسه ص ٥٨.
(٩٤) نفسه ص ٤٢.
(٩٥) نفسه ص ٤٠.
(٩٦) نفسه ص ٢٤.
(٩٧) القَضَارِفْ مدينة تقع في شرق السودان وتبعد عن العاصمة الخرطوم بحوالي ٤١٠ كيلومتر) ٢٥٤ ميل- الموقع الرسمي لولاية القضارف .
(٩٨) الديوان ص٥٩.
(٩٩) شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك – دار الطلائع للنشر والتوزيع والتصدير- د.ت-ج١-ص١٢٥.
(١٠٠) المعمرون والوصايا، السجستاني، أبو حاتم(المتوفى: ٢٤٨هـ) ص١٦.
(١٠١) الديوان ص١١١.
(١٠٢) سورة النور الآية (٣٩- ٤٠).
(١٠٣) انظر المذاهب الأدبية من الكلاسيكية إلى العبثية. د.نبيل راغب، مكتبة مصر، القاهرة.
(١٠٤) رباع نيوز، مرجع سابق، قصيدة الهلال، ليست مما تضمنه الديوان.
(١٠٥) الديوان ص١٧.
(١٠٦)نفسه ص١١١.
(١٠٧) نفسه ص ٥٨.
(١٠٨) نفسه ص ٤٢.
(١٠٩) نفسه ص ٩٩.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــوع	الصفحة
١.	ملخص البحث	٨٦٩٢
٢.	Summary	٨٦٩٣
٣.	مقدمة البحث	٨٦٩٤
٤.	المبحث الأول: التعريف بالشاعر	٨٦٩٧
٥.	١- اسمه وميلاده ووفاته	٨٦٩٧
٦.	٢- الإنتاج الشعري	٨٦٩٧
٧.	المبحث الثاني : التطبيق:	٨٧٠٠
٨.	أولا :لفظة الماء في معناها المجرد، وصفته الرئيسة	٨٧٠٠
٩.	ثانيا : الماء في أوعيته ؛النيل والنهر والبحر	٨٧٠٤
١٠.	ثالثا : التجمعات المائية؛ الغدران والجداول والحياض والبرك والينابيع	٨٧١٠
١١.	رابعا: الماء في حركته؛ اللجة واللجج والسيل والأمواج	٨٧١٤
١٢.	خامسا : متعالق الماء ومجاوره :الشطآن والضفاف	٨٧١٩
١٣.	سادسا: بعض صفات الماء من فيض وفيضان وتدفق	٨٧٢١
١٤.	سابعا: السحب والغيم	٨٧٢٢
١٥.	الخاتمة	٨٧٢٨
١٦.	الهوامش	٨٧٢٩
١٧.	فهرس الموضوعات	٨٧٣٤

بحمد الله تعالى